فقه أهل البيت عليهم السلام

فصليّة فقهيّة متخصّصة

الطبعة الثالثة

- الحـــوزة و آفاق المستقبـــل
- ضمـــان انـخفاض قيمة النقـد
- عـــدة مـــن لارحـــم لهـــا
- الخمس في الحكومة الإسلامية

٢

العدد الثاني- السنة الاولى ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م

من فقهائنا

-٢-

الصدوق الأوّل

علي بن بابويه القمّي قدس سره

القسم الأوّل

□ الأستاذ السيّد ثامر العميدي

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله ربّ العالمين، وسلام على المرسلين لا سيّما أشرفهم نبي الهدى وإمام المتّقين، وآله أعلام التقى والعروة الوثقى ومنارة المخبتين، وأصحابه الأوفياء المخلصين، ومن اتّبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد..

إنّ المدرسة الفقهية التي أغنت الفكر الفقهي الإسلامي بعطائها الثرّ، لا ريب أنّها مدرسة أهل البيت عليهم السلام التي يُعبّر عنها في البحوث المتخصّصة بتاريخ التشريع عادة بمدرسة النصّ، وهي المدرسة التي تزعّمها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله تعالى عليه، ومن بعده الأئمّة من أولاده الأطهار عليهم السلام ابتداءً بأبي محمّد الحسن بن علي السبط (ت/٥٠هـ) عليه السلام وانتهاءً بأبي محمّد الحسن بن علي الزكي (ت/٢٦٠هـ) عليه السلام،

إذ حلّت بوفاته الغيبة الصغرى للإمام المنتظر(عج) وتقلّص فيها عصر النصّ إلى أن انتهى بانتهائها سنة (٣٢٩هـ) ، ولقد كانت هذه المدرسة ـ وبحكم كون قادتها من أهل بيت الوحي ومهبط التنزيل[١] ـ الامتداد الطبيعي الوحيد المعقول لفكر النبوّة ومنهج الرسالة ، إذ لا يراد من خاتميّتها غير بقائها كما هي وخلودها فكراً وعقيدة؛ ولهذا كان نبذ الرأي والتمسّك بنصوصها من أبرز مميّزات مدرسة أهل البيت عليهم السلام[٢] .

ومن تتبُّع تاريخ النشاط الفقهي لهذه المدرسة نجد اتّساع رقعتها من المدينة المنوّرة إلى العراق (الكوفة وبغداد وسامراء) إلى خراسان ، حيث يتواجد قادتها عليهم السلام ، ولكثرة أتباعها في عهودهم ولصعوبة الاتّصال بهم في كل وقت ، ظهرت مدرسة فقهية أُخرى أخذت مقوّمات وجودها ، واستمدّت شرعيّتها من إمضاء مدرسة النصّ نفسها فكانت تبعاً لها في المنهج ، تلك هي مدرسة الفقهاء الرواة التي قادها الفقهاء الرواة من أمثال : زرارة بن أعين (ت/١٥٠هـ) ، وابان بن تغلب (ت/١٥٠هـ) ، ومحمّد بن مسلم (ت/١٥٠هـ) ، ويونس بن عبدالرحمن (ت/ ٢٠٨هـ) ، والفضل بن شاذان (ت/٢٦٠هـ) وأضرابهم رضي الله تعالى عنهم .

وأهمّ ما امتازت به هذه المدرسة ، هي الممارسات الفقهية في تطبيق نصوص مدرسة النصّ على مواردها دون ملاحظة التفريعات الفقهية .

ولمّا أوشك عصر النصّ على الانتهاء بحلول الغيبة الصغرى سنة (٢٦٠هـ) ، كان التراث الفقهي الشيعي موزّعاً بين أحاديث أهل البيت عليهم السلام ـ وهي الأعمّ الأغلب ـ التي جُمعت في كتب كثيرة أشهرها وأكثرها اعتماداً الأُصول الأربعمائة ، وبين فتاوى الفقهاء الرواة ، ومن هنا برز دور المحدّثين العظام؛ إذ أصبحت مهمّة الفقه الجسيمة ملقاة على عاتق العظماء والنابغين منهم .

فالمحدّثون الكبار إذن هم أوّل من تصدّى لزعامة الفقه الشيعي في عصر الغيبة الصغرى . وقد تحدّثنا في الحلقة السابقة عن أبرزهم في الري وبغداد وهو ثقة الإسلام الكليني رضي الله تعالى عنه ، فحقّ لنا أن نتحدّث عن شيخ الفقهاء والمحدّثين في مدينة

قم المقدّسة في عصر الغيبة ، ذلك هو الشيخ الأجلّ علي بن بابويه القمّي رضي الله تعالى عنه .

عصره :

إنّ العصر الذي عاشه شيخنا علي بن بابويه ، هو العصر العباسي الثاني بكامله تقريباً ؛ إذ بدأ بعهد المتوكّل العبّاسي سنة ٢٣٢هـ ، وانتهى بدخول البويهيّين إلى العراق سنة ٣٣٤هـ .

فكان عصره من الناحية السياسية يتّسم بتغلّب العنصر التركي الذي أُطلقت يده في سياسة الدولة ، والتلاعب بمقدّرات الأُمّة ، فدخلت ـ على أثر انحلال الأوضاع السياسية ـ عناصر أجنبية كثيرة في المجتمع المسلم كالتركية والرومية والبربرية ونحوها ، وكان لكل منها لغته وأخلاقه وعاداته ممّا أدّى ذلك إلى نشوء الفِرق وتعدّدها ، وشيوع المقالات المنحرفة واختلافها [٣] .

وعلى النقيض من ذلك نجد تطوّر حركة الفقه الإسلامي عموماً في ذلك العصر؛ إذ نشأت طبقة من فقهاء المذاهب الإسلامية في ذلك العصر . فقد برز إسحاق بن حماد (ت/٢٧٥هـ) وولده إسماعيل (ت/٢٨٢هـ) وعمر بن محمّد (ت/٣٣١هـ) في الفقه المالكي ، ومحمّد بن شجاع الثلجي (ت/٢٥٦ أو ٢٥٧هـ) ، والطحاوي (ت/٣٢٢هـ) في الفقه الحنفي . والمزني (ت/٢٦٤هـ) ، ومحمّد بن عبدالله الصيرفي (ت/٣٣٠هـ) ، وأحمد بن إبراهيم بن يوسف بن أحمد الكاتب ـ وهو من تلاميذ الكليني ـ ولد سنة (٢٨١هـ) في الفقه الشافعي ، وابن الحربي (ت/٢٨٥هـ) وعبدالله بن أحمد بن حنبل (ت/٢٩٠هـ) في الفقه الحنبلي ، زيادة على ظهور فقهاء من المذاهب والفِرق الأُخرى ، كالطبري (ت/٣١٠هـ) الذي كان شافعياً واستقلّ بمذهب خاصّ به [٤] ، وهكذا الحال بالنسبة إلى المذهب الزيدي الذي انتشرت آراؤه في ذلك العصر بفضل الدولة العلوية في طبرستان التي امتدّ نفوذها إلى الري والمدن المجاورة خلال السنوات (٢٥٠ ـ ٢٥٣هـ) إلى أن انقرضت (سنة ٣١٦هـ) [٥] .

وفي هذا العصر بالذات ألّف أصحاب الصحاح الستّة ـ عند أهل السنّة ـ كتبهم وهي: صحيح البخاري (ت/٢٥٦هـ)، وصحيح مسلم (ت/٢٦١هـ)، وسنن ابن ماجة (ت٢٧٣هـ)، وسنن أبي داود (ت/٢٧٥هـ)، وجامع الترمذي (ت/٢٧٩هـ)، ومجتبى النسائي (ت/٣٠٣هـ).

أمّا عن تطوّر الفقه والحديث الشيعيَّين في ذلك العصر، فمن الصعب جدّاً استيفاء الحديث عنه في هذه العجالة؛ لأنّهما فيه خلاصة لقرنين ونصف من الزمان لم تتوقّف فيها عجلة التدوين، ويكفي أن بلغت مدوّنات الشيعة في تلك الفترة ـ وأغلبها في الفقه والحديث ـ أكثر من ستّة آلاف وستمائة كتاب على ما ضبطها الشيخ الحرّ العاملي رحمه الله تعالى[٦].

إذن، عصر الشيخ علي بن بابويه هو عصر النهضة الفكرية بكل أبعادها، وقد شملت جميع بلاد الإسلام خصوصاً المراكز العلمية فيها كبغداد والكوفة والري وقم ومصر والشام ومكة والمدينة.

بيئته:

لا شكّ أنّ للبيئة بموقعها العلمي ومركزها الثقافي آثاراً مهمّة في تحديد معالم التوجّه الفكري للنابغين فيها، والبيئة التي استوطنها الشيخ علي بن بابويه رضي الله تعالى عنه قد تمتّعت بما لم يتمتّع بمثلها إلّا القليل من حواضر العلم والدين في البلاد الإسلامية، فهو قد عاش في مدينة قم المقدّسة، تلك المدينة التي كانت من قلاع التشيّع المنيعة منذ نشوئها وإلى يومنا هذا[٧].

ويظهر أنّ مدينة قم التي استوطنها الصدوق الأوّل رضي الله تعالى عنه كانت في أوان عصر الغيبة وعهد نيابة النوّاب الأربعة رضي الله تعالى عنهم حافلة بعلماء الشيعة وفقهائهم ومحدّثيهم، ومركزاً فقهياً كبيراً من مراكز البحث الفقهي[٨] بحيث استقطبت الفقهاء والمحدّثين من بلاد التشيّع العريضة.

ويدلّ عليه ما رواه الشيخ الطوسي ﷺ عن ابن الغضائري عن محمّد بن أحمد بن داود القمّي، قال: حدّثنا سلامة بن محمّد، قال: «أنفذ الشيخ الحسين بن روح ﷺ كتاب التأديب إلى قم، وكتب إلى جماعة الفقهاء بها، وقال لهم: انظروا في هذا الكتاب وانظروا فيه شيء يخالفكم؟

فكتبوا إليه: إنّه كلّه صحيح، وما فيه شيء يخالف إلّا قوله في الصاع في الفطرة نصف صاع من طعام، والطعام عندنا ـ مثل الشعير ـ من كل واحد صاع»[٩].

ولا يخفى ما في هذه الرواية من دلالة صريحة على كون قم من مراكز الفقه الشيعي المهمّة في عصر الصدوق الأوّل، وأنّها كانت منتجع الفقهاء الفحول بحيث يراجعهم من مثل الشيخ العظيم الحسين بن روح (ت/٣٢٦هـ) سفير الإمام الخاصّ عليه السلام، ويطلب منهم مراجعة كتاب التأديب.

وممّا يدلّ على نشاط الحركة الفقهية في بيئة الصدوق الأوّل نشاطاً واسعاً كثرة جوابات أبي القاسم الحسين بن روح رضي الله تعالى عنه التي يبعثها من بغداد إلى فقهاء قم على أثر استفساراتهم ورسائلهم[١٠]، هذا في الوقت الذي كانت فيه قم تعجّ بآلاف المحدّثين من حملة فقه أهل البيت عليهم السلام، فقد ذكر العلّامة المجلسي الأوّل في شرحه على كتاب من لا يحضره الفقيه ـ بالفارسية ـ ما ترجمته: «إنّ في زمان علي بن الحسين بن بابويه المتوفّى سنة ٣٢٩ كان في (قم) من المحدّثين مائتي ألف رجل»[١١].

ومن هنا تعرف مكانة من يشار له بالبنان في هذا الوسط الفقهي الحديثي المزدحم بآلاف العلماء، وينتزع الخلود كالصدوق الأوّل.

اسمه، وكنيته، ولقبه:

هو الفقيه الجليل الشيخ علي بن الحسين بن موسى بن بابويه، أبو الحسن القمّي باتّفاق كتب الرجال والتراجم.

ويعرف بكتب الفقه بـ(علي بن بابويه) ويلقّب بـ(الصدوق الأوّل) ويلقّب ابنه أبو جعفر محمّد بن علي بن بابويه صاحب كتاب من لا يحضره الفقيه بـ(الصدوق الثاني) ، أو (الصدوق) مطلقاً ، وإذا أطلق (ابن بابويه) فالمراد به الابن الشيخ الصدوق ، ويطلق أيضاً على علي بن بابويه وعلى ابنه الآخر الحسين بن علي بن موسى ابن بابويه ، ولو ثنّي بقولهم : (ابنا بابويه) فالمراد به الصدوقان[١٢] .

ولادته ، وتقدير مدّة عمره :

الظاهر أنّ ولادة الشيخ علي بن بابويه كانت في مدينة قم المشرّفة؛ إذ نشأ في هذه المدينة وتتلمذ على شيوخها وروى عنه أعلامها ونسب إليها ، ففيها أُسرته ومقرّه ومقامه ومتجره وقبره رحمه الله .

أمّا تاريخ ولادته بالضبط فلا سبيل إلى تعيينه ، ولكن ـ بالبناء على صحّة رسالة الإمام العسكري (ت/٢٦٠هـ) عليه السلام إليه ، كما ستأتي في جمل الثناء عليه ـ يمكن القول ، بأنّه لم يتجاوز النصف الثاني من القرن الثالث الهجري إلّا وقد كان عمره فوق سن تحمّل الرواية .

وحيث سينتهي بنا البحث إلى أنّ سنة وفاته هي سنة ٣٢٩هـ فسيكون عمره الشريف بحدود قرن من الزمان ، وزيادة على مخالفة هذا التقدير لسيرة الرجاليّين في التنصيص على المعمّرين في تراجمهم ، فإنّه لو تمّ لكانت رواية الشيخ علي بن بابويه القمّي عن أعلام الطبقة الخامسة ـ مثل إبراهيم بن هاشم القمّي ، والحسين بن الحسن بن ابان القمّي ، والفضل بن شاذان النيسابوري ، ومحمّد بن عبدالجبّار القمّي ، وغيرهم من أجلّاء هذه الطبقة لا سيّما الأشعريّين ـ بلا واسطة؛ لكونه معهم في زمان واحد ومكان واحد .

غير أنّا نجد رواياته الكثيرة جدّاً عنهم كانت جميعها بالواسطة ، وواسطته هم مشايخه من الطبقة الرابعة ، وأغلبهم من مشايخ ثقة الإسلام الكليني الذى انتهى بنا التحقيق ـ في الحلقة السابقة ـ إلى أنّ ولادته كانت في أواخر سني حياة الإمام الزكي

الحسن بن علي العسكري عليه السلام . وهذا هو من أقوى الإشكالات الموجّهة إلى الرسالة المتلقّاة بالقبول .

أُسرته :

أُسرة (آل بابويه) معروفة في التراجم ، خرّجت العديد من رجالات العلم والدين ، وأنجبت العشرات من فحول الفقهاء والمحدّثين ، وهي من الأُسر العريقة والبيوتات الفاضلة ، قال عنها المؤرّخ الشهير ابن أبي طيّ : « بيت العلم والجلالة »[١٣] .

أمّا عن سلسلة آباء الشيخ علي بن بابويه ، فيعرف منها جدّه الأدنى موسى بن بابويه ؛ إذ كان من الثقات الرواة ، فقد أعقب ولدين فاضلين وهما الحسين ، ومحمّد .

أمّا محمّد فقد أعقب الحسن وبنتاً من أُم ولد هي زوجة الصدوق الأوّل ، والحسن أعقب الحسين أبا عبدالله القمّي .

أمّا الحسين بن موسى ، فقد كان عقبه في علي أبي الحسن شيخنا المعظّم ابن بابويه وبنت هي أُمّ الحسين أبي عبدالله ، زوجة ابن عمّها الحسن بن محمّد بن موسى .

أمّا شيخنا علي فان وُلْدَه من ديلمية ؛ إذ لم يرزقه الله تعالى ولداً من زوجته بنت عمّه التي كانت أُمّها أُمّ ولد ، وكان عقبه ـ من الديلمية ـ في ثلاثة :

الأوّل : هو الشيخ الصدوق محمّد بن علي من أجلّ فقهاء عصره على الإطلاق .

والثاني : الحسن بن علي ، وكان خيّراً فاضلاً زاهداً عابداً .

والثالث : الحسين ، يكنّى أبا عبدالله ، وهو من أجلّاء المشايخ وثقاتهم الذي أعقب ثقة الدين الشيخ حسن ، ومن هذا الشيخ كان البيت والولد ؛ إذ خلّف الشيخ حسن ثقة الدين خمسة ذكور ، وهم : أبو المعالي ، وأبو المفاخر هبة الله ، وعبدالله ، ولم يعقبوا ، والحسين ، ومحمّد .

أمّا الحسين فولده شمس الإسلام يكنّى أبا محمّد الحسن المعروف بحسنكا ، وقد خلّف حسنكا ولدين : موفّق الدين أبا القاسم عبيدالله ، وأبا زكريا الحسن ، أمّا الأوّل

فهو والد الشيخ منتجب الدين أبي الحسن علي صاحب كتاب الأربعين، والفهرست المعروف بـ(فهرست منتجب الدين) وغيرهما، وأمّا الثاني فقد أعقب أبا الحسين جعفر.

وأمّا محمّد فقد خلّف أربعة ذكور هم: سعد وقد أعقب بابويه، والثلاثة الأُخر هم: نجم الدين أبو الحسن علي، وأبو إبراهيم إسماعيل، وأبو طالب إسحاق[١٤].

وقد كان معظم رجالات هذه الأُسرة الفاضلة من حملة الحديث الشريف، قال المجلسي الأوّل: «وكان الحسين بن علي بن بابويه ثقة وخلّف ولدان كثيرة كلّهم من أصحاب الحديث»[١٥]. ويدلّ عليه أنّ رواية أبناء آل بابويه عن آبائهم قد اتُّخذت مثالاً ـ بكتب الدراية ـ على رواية الأبناء عن ستّة من الآباء، كما هو الحال في رواية الشيخ الجليل أبي علي الحسن منتجب الدين، عن أبيه الشيخ عبيدالله أبي القاسم موفّق الدين، عن أبيه الشيخ حسن أبي محمّد المعروف بحسنكا شمس الإسلام، عن أبيه الحسين، عن أبيه الشيخ حسن ثقة الدين، عن أبيه الشيخ الحسين أبي عبدالله القمّي، عن أبيه الشيخ علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّي[١٦].

هذا، ومن مراجعة تراجم أفراد هذه الأُسرة في كتب الرجال، لا سيّما في فهرست الشيخ منتجب الدين[١٧] ـ إذ ترجم لبعضهم ـ، يُعلم ما قدّمته هذه الأُسرة الفاضلة من خدمات جليلة للإسلام والمسلمين.

شخصيّته، ومؤهّلاته:

للصدوق الأوّل ﷺ شخصيّة علمية واجتماعية بارزة، واضحة المعالم وذات أبعاد خصبة، وجوانب متعدّدة، وسوف نتعرّض لأهمّها دون الخوض في تفاصيلها[١٨]، وذلك فيما يخصّ البعد العقائدي والعلمي المتميّز بضخامة مروياته كمّاً ونوعاً، وسعيه المتواصل في توسيع دائرة معارفه بتعدّد رحلاته العلمية وأسفاره، وكثرة مشايخه، وإعداده لجيل من الفقهاء والمحدّثين، ثمّ مؤلّفاته التي سننطلق منها لبيان منهجه الفقهي، ثمّ نختتم الحديث عن شخصيّته ومؤهّلاته بشهادة أعلام الطرفين: الشيعة وأهل السنّة على علوّ مقامه، وإطلاقهم جمل الثناء عليه، مع

مراعاة الاختصار ، وعلى النحو الآتي :

أوّلاً ـ البعد العقائدي :

ويتمثّل هذا البعد في مجال حرصه الشديد على معالجة القضايا العقائدية من وجهة النظر الإسلامية الصائبة بهدي من فكر أهل البيت عليهم السلام ، فكان رحمه الله تعالى داعية إلى الحقّ ، غيوراً على الدين ، حريصاً على تنبيه الغافلين وردع المنحرفين والمغالين بقلبه ولسانه ويده ، وذلك أصدق الإيمان ، كما سيتّضح من الأُمور التالية :

١ ـ **ما كتبه حول الغيبة** : كان الشيخ علي بن بابويه رحمه الله ـ بحكم معاصرته لغيبة الإمام المهدي عليه السلام ، ومسؤوليّته العظمى في نشر الفهم الإسلامي الصحيح لعقيدة المهدي الموعود المبشّر بظهوره في آخر الزمان ـ حريصاً على سدّ منافذ التشكيك في مسألة الغيبة التي يحاول فتحها الغاغة من الناس بلا علم ولا معرفة كما هو شأنهم في كل عصر وجيل ، وذلك بتصدّيه لتأليف كتاب (الإمامة والتبصرة من الحيرة) ، وقد بدأه بمقدّمة رائعة تعدّ آية من آيات الإبداع والجمال ، في متانة لغتها وسلاسة جملها ، وعذوبة منطقها ، وجمال أُسلوبها ، واتزان عرضها ، وقوّة حججها ، وسلامة أدلّتها . ولعلّه أوّل من استهلّ كتاباً من هذا النوع بمقدّمة ضافية حاول من خلالها أن يبيّن سرّ الغيبة ووقوعها المحتّم على طبق ما نطقت به الأخبار الصحيحة قبل وقوعها ، وربطها بعقيدة الإمامة ككل ، وهو الحقّ الذي لا مرية فيه .

٢ ـ **مناظرته في الإمامة** : حرص الصدوق الأوّل ـ رضي الله تعالى عنه ـ على ملاقاة العلماء من غير الشيعة الإمامية خصوصاً من عرف بتعصّبه وعناده في مسألة إمامة أمير المؤمنين عليه السلام ، فكان يدعوهم إلى البحث والمناظرة . وقد حصل له ذلك مع محمّد بن مقاتل الرازي ، فناظره شيخنا في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام ، وأثبت له الحقّ حتى انجاب الظلام عن عينيه ، وعاد إلى رشده فهداه الله تعالى بفضله ، وقيل أنّه صار بعد المناظرة شيعيّاً [١٩] .

ولا يخفى أنّ أُصول المناظرة تحتاج إلى ثقافة واسعة ، ومعرفة تامّة بحجج

الخصم وأدلّته ، وما يقابلها على ضوء الأُصول والقواعد المقرّرة عنده ، وهذا يعني أنّ الصدوق الأوّل كان على ثقافة واسعة فيما يرتبط بفهم عقائد الآخرين من غير الشيعة الإمامية ، والردّ عليها وتفنيدها بما هو متسالم على صحّته عندهم ، وإلّا فليس بتلك السهولة أن ينبذ ابن مقاتل الرازي عقيدته ويتحوّل إلى شيعي في مناظرة واحدة ، لو لم يكن ندّه قد أتى عليه من كل جانب .

٣ ـ إهانته للحلّاج : روى الشيخ الطوسي ﷺ في كتاب الغيبة رواية مسندة تكشف عن تصدّي الصدوق الأوّل وبكل حزم وقوّة لمغامرة الحسين بن منصور الصوفي المعروف بالحلّاج الذي كان قد أظهر المذاهب الرديئة ، وكان من أمره أن قدم إلى مدينة قم في زمان الشيخ علي بن بابويه القمّي رضي الله تعالى عنه وكاتبَ أقرباء الشيخ واستدعاهم لتأييده ونصرته ، كما كاتب الشيخ علي بن بابويه نفسه لأجل هذا الغرض ، زاعماً أنّه رسول من الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف!

وكيف أنّ الشيخ علي بن بابويه قد أهانه أمام الناس ، وواجه الموقف بكل صلابة وحزم؛ إذ كذّب الحلّاج على رؤوس الأشهاد ولعنه ، وأمر غلمانه بإهانته وضربه وطرده ، حتى أنّه هرب من قم كلّها ولم يعد إليها البتة ، نظراً لما وجده من صلابة شيخها وفقيهها ازاء كل من ينتحل كذباً تلك المقامات السامية[٢٠] .

المكانة الاجتماعية والنفس الأبيّة في إهانة الحلّاج :

في رواية إهانة الحلّاج ـ التي ذكرنا ملخّصها ـ ما يكشف عن ركيزتين لهما أبلغ الأثر في مقوّمات شخصيّة الصدوق الأوّل ﷺ ، وهما :

١ ـ مكانته الاجتماعية : ذلك لأنّ قطع مادة الفساد في مدينة مثل قم وتكذيب مروّجها وإهانته وطرده من المدينة ، لا يتمّ إلّا لمن كانت له مكانة اجتماعية مرموقة وكلمة مسموعة ، هذا أوّلاً ، وثانياً : إنّ محاولة الحلّاج نفسه تكشف وبوضوح عن مكانة الشيخ في المجتمع القمّي ؛ لأنّ مكاتبته للشيخ نفسه تعني أنّ محاولة الحلّاج كانت مدروسة سلفاً ، وذلك باستدراج مراكز القوّة في المجتمع ، بحيث حسب أنّه لو تمّ

له ذلك لكانت قم بأسرها رهن إشارته ، وطوع بنانه ؛ لمحل الصدوق الأوّل في نفوس القمّيين علماً وأدباً وفقهاً وحديثاً .

٢ ـ **النفس الأبيّة** : وهذا ما يتّضح من لسان الرواية المتقدّمة ، إذ أشارت إلى وقوع إهانة الحلّاج وضربه وطرده والبراءة منه ولعنه ، في وقت انشغال الشيخ علي بن بابويه بمهمّة الإشراف على إدارة تجارته التي يقوم بها غلمانه .

وهذا يعني أنّ لعلي بن بابويه رضوان الله عليه نفساً عزيزة أبيّة ؛ إذ لم يعقه مركزه الديني الرفيع ، ولا الاجتماعي المرموق من أن يتّخذ مكسباً حلالاً طيباً لنفسه ومن يعيله ، لكي يصون به وجهه ، كما هو شأن ذوي النفوس العزيزة التي تلتذّ بعرق الجبين وتأنف من أن تنال لقمتها براح ملساء على حساب الآخرين ، وتلك هي عيشة الأحرار .

ثانياً : البعد العلمي :

ومن مؤهّلات شيخنا الصدوق الأوّل لتسنّم زعامة الفقه والحديث الشيعيّين في أزهى مراكز العلم الشيعية (قم) هي الأبعاد العلمية في شخصيّته ، والتي يمكن الإشارة السريعة إليها على النحو التالي :

١ ـ **ضخامة مرويّاته في كتب الحديث** : إنّ من تصفّح كتب الشيخ الصدوق يجد مرويّات أبيه الصدوق الأوّل بكثرة مطّردة لا تضاهيها مرويات شيخ آخر من مشايخ الصدوق مطلقاً ، وإذا علمنا أنّ الشيخ الصدوق هو من أكثر محدّثي الشيعة ـ الذين وصلت إلينا كتبهم ـ رواية على الإطلاق ، وأنّ ما يرويه فيها عن أبيه فقط قد يقرب من مجموع ما رواه عن غيره ، اتّضح لنا مدى الاهتمام البالغ الذي كان يبديه الصدوق الأوّل في الحفاظ على تراث أهل البيت عليهم السلام بما فيه من أحاديث العقائد والأحكام والسنن والآداب ، والحقّ أنّ الصدوق الابن الذي يعدّ مفخرة من مفاخر المسلمين هو تربية ذلك الرجل العظيم وخرّيج مدرسته الفقهية والحديثيّة .

٢ ـ **رحلاته العلمية وأسفاره** : حاول الشيخ علي بن بابويه توسيع دائرة

معارفه الإسلامية خصوصاً ما يتّصل منها بالفقه ورواية الحديث ، وذلك عبر رحلاته العلمية الواسعة وأسفاره المتعدّدة التي ألتقى خلالها بأقطاب التشيّع في ذلك العصر لا سيّما وكلاء الإمام الحجّة (عجّل الله تعالى فرجه الشريف) القاطنين في بغداد .

فقد صرّح النجاشي بأنّه : « كان قدم العراق واجتمع مع أبي القاسم الحسين بن روح ﷺ وسأله مسائل ثمّ كاتبه بعد ذلك على يد علي بن جعفر بن الأسود يسأله أن يوصل رقعة إلى الصاحب عليه السلام ويسأله فيها الولد »[٢١] .

ومن كتاب الغيبة للشيخ يعلم بأنّ تاريخ قدوم الصدوق الأوّل إلى بغداد أوّل مرّة واجتماعه مع أبي القاسم ﷺ كان في أوائل سفارة الحسين بن روح عقيب وفاة أبي جعفر محمّد بن عثمان العمري ؛ إذ صرّح بوقوع تلك المسائلة بعد موت أبي جعفر محمّد بن عثمان العمري ﷺ[٢٢] ، وقد كانت وفاته فيما رواه الشيخ سنة ٣٠٤ أو ٣٠٥هـ[٢٣] ، ولمّا كانت تلك المسائلة عقيب الاجتماع كما في النجاشي فيمكن تقدير دخوله إلى بغداد أوّل مرّة بحدود سنة ٣٠٦هـ.

وهذا التقدير هو المناسب لميلاد الصدوق بعد ذلك بسنة تقريباً ـ بفضل دعاء الإمام الحجّة عليه السلام ـ ويؤيّده بلوغه سنّ التحمّل في الرواية في حياة أبيه (ت/٣٢٩هـ) .

وقد قدم الصدوق الأوّل ثانية إلى بغداد سنة ٣٢٣هـ وهي السنة التي استأذن فيها لزيارة بيت الله عزّ وجل ، وفيها سمع منه التلعكبري وله منه إجازة بجميع ما يرويه ـ كما سنحقّق ذلك في بحث وفاته لأهمّيته البالغة هناك ـ وليس سنة ٣٢٦هـ، كما في تنقيح المقال[٢٤] ، وعنه ـ ظاهراً ـ في هامش الفهرست[٢٥]؛ إذ وقع الاشتباه في نقل ترجمته من رجال الشيخ ، وذلك بضمّ ما في ترجمة علي بن حاتم القزويني إليها ، لتماثل العبارات بين الترجمتين بنحو سطر تقريباً ، مع تجاور الترجمتين[٢٦] ، وقد نبّه على ذلك العلّامة التستري ـ رحمه الله تعالى ـ في قاموس الرجال[٢٧] .

وفي سنة ٣٢٨هـ قدم إلى بغداد وفيها أجاز الكلوذاني ـ شيخ النجاشي ـ برواية جميع كتبه[٢٨] .

وقد يقال: بأنّه سافر إلى بغداد للمرّة الرابعة في سنة ٣٢٩هـ، لقول الشيخ في ترجمته: «روى عنه التلعكبري قال: سمعت منه في السنة التي تهافتت فيها الكواكب، دخل بغداد فيها»[٢٩] بتقدير أنّ سنة التهافت تلك هي سنة ٣٢٩هـ كما صرّح بذلك النجاشي[٣٠]، وسيأتي - إن شاء الله تعالى - تحقيق هذا الأمر في وفاته، وسيتّضح هناك بأنّه لم يثبت.

ويستخلص من زياراته المتكرّرة إلى بغداد، اتّصاله الوثيق بفقهاء وأعلام التشيّع هناك لا سيّما نوّاب الإمام الحجّة - عجّل الله تعالى فرجه الشريف - وسفرائه البررة كأبي القاسم الحسين بن روح (ت/٣٢٦هـ)، وأبي الحسن علي بن محمّد السمري (ت/٣٢٩هـ) على المشهور[٣١].

وثمّة فوائد جمّة في هذا الاتّصال، لعلّ أيسرها اطّلاعه على كتب الفقه التي صنّفها أبو جعفر محمّد بن علي العمري رضي الله تعالى عنه سماعاً من أبي محمّد الحسن عليه السلام، ومن الصاحب عليه السلام، ومن أبيه عثمان بن سعيد عن أبي محمّد، وعن أبيه علي بن محمّد عليهما السلام، تلك الكتب الجليلة التي وصلت إلى الحسين بن روح عند الوصية إليه وكانت في يده، ولا يبعد وصولها من بعده إلى السمري - رضي الله تعالى عنه - كما صرّح بهذه الكتب شيخ الطائفة قدس سره[٣٢].

وليس بمستبعد اتّصاله برجالات العلم والدين من أهل الكوفة، ويؤيّد ذلك تحديثه عن مشايخ الكوفيّين كما سنبيّنه في مشايخه، زيادة على ضرورة زيارته لصاحب المرقد المطهّر، الساقي من حوض الكوثر أمير المؤمنين علي عليه السلام.

هذا، ولم تنحصر أسفاره ورحلاته إلى العراق فحسب، بل سافر إلى البيت المعمور لنذر عليه سنة ٣٢٣هـ، لكنّه صُدَّ في الطريق من قِبل القرامطة، فرجع إلى بغداد سالماً، كما سنشير إليه في بحث وفاته، ولا يبعد حجّه قبل ذلك، ولقرب الري من قم وهي من المراكز العلمية المهمّة فقد زارها أيضاً وحدّث عن مشايخها، ولعلّه سافر إلى غيرها؛ إذ وجدنا بين شيوخه من نسب إلى همدان، وتفليس، والدينور،

ونيسابور ، وقرمسين ، ولا يبعد رحيله إلى تلك المراكز العلمية في ذلك العصر لغرض اللقاء مع مشايخ الفقه والحديث فيها ، ويحتمل اللقاء بهم في مدينة قم نفسها بصفتها مركز استقطاب العلماء والمفكّرين والفقهاء والمحدّثين في عصره ، كما لا يبعد أيضاً التقاؤه بعلماء ما وراء النهر وخراسان في زياراته لمشهد الإمام الرضا عليه السلام .

٣ ـ **مشايخه** : إنّ معرفة مشايخ الصدوق الأوّل متوقّفة ـ في الغالب ـ على مراجعة كتب ولده الصدوق رحمهما الله ، ولأجل هذا الغرض راجعنا جميع ما تيسّر لدينا من كتب الصدوق بالإضافة إلى مراجعة كتاب الإمامة والتبصرة للشيخ علي بن بابويه وغيرها من المصادر والمراجع الأُخرى ، فوقفنا على عدد من المشايخ سنذكرهم على ترتيب حروف المعجم ، مع الأخذ بعين الاعتبار الإشارة إلى روايته عن كلّ شيخ في الكتاب الواحد مرّة واحدة سواء كثرت الرواية عنه في ذلك الكتاب أو قلّت ، وهكذا في كتب ولده الأُخرى ، أمّا ما لم نذكره من كتب الصدوق ازاء اسم كل شيخ من مشايخ أبيه فهذا يعني عدم العثور فيها على رواية للصدوق ، عن أبيه ، عنه .

هذا ، مع التنبيه على ما صحّف أو حرّف من الأسماء في الأسانيد ، مع الإشارة إلى من لم يكن من مشايخه رحمه الله ولكن وجد هكذا في السند لسقط أو نحوه ، وهم :

١ ـ إبراهيم بن عمروس الهمداني ، روى الشيخ علي بن بابويه عنه في كتابه الإمامة والتبصرة : ١٣/١٦١ ب٢ ، وأمالي الصدوق : ٧/١٧ م٢ .

٢ ـ أحمد بن إدريس (أبو علي الأشعري القمّي) : الإمامة والتبصرة : ١٣/١٦١ ب٢ ، وأمالي الصدوق : ١/٢٤ م٥ ، والتوحيد : ٢٢/٦٨ ب٢ ، وثواب الأعمال : ١/٢٣ ، والخصال ١ : ١٣/٥ باب الواحد ، وصفات الشيعة : ١ : ١/٩ ، وعيون الأخبار ١ : ١٠/٢٦ ب٤ ، وفضائل الأشهر الثلاثة : ١٩/٤٣ ، وفضائل الشيعة : ٢٨/٦٩ ، وكمال الدين ١ : ٣٦ ، ومشيخة الفقيه ٤ : ١٦ ، ومصادقة الإخوان : ١/١٥٠ ، ومعاني الأخبار : ١/٢ .

٣ ـ أحمد بن سعد بن عبدالله : عيون الأخبار ٢ : ٤٨/٢٢ ب٣٠ .

٤ ـ أحمد بن علي التفليسي : الأمالي : ٦/٢٤٩ م٥٠ ، وعيون الأخبار ٢ : ١٩٧/٥١ ب٣١ .

٥ ـ أحمد بن محمّد أبو علي المطهر : ذكره الشيخ عبدالرحيم الرباني الشيرازي في مقدّمة تحقيق معاني الأخبار : ٤/٧٩ نقلاً عن مستدرك الوسائل ٣ : ٧٨٠ .

٦ ـ إدريس (كذا مطلقاً) : علل الشرائع ٢ : ٣/٣٩٧ ، ولم أعرفه ، والظاهر أنّه أحمد بن إدريس فسقط من السند (أحمد بن) سهواً .

٧ ـ حبيب بن حسين التغلبي : الأمالي : ٣/١٢٠ م٢٩ .

٨ ـ حبيب بن الحسين الكوفي : علل الشرائع ١ : ١/٥٢٤ ، والظاهر كونه المتقدّم .

٩ ـ الحسن بن أحمد الاسكيف القمّي ، حدّثه بالري : الخصال ٢ : ٧/٥٨٢ أبواب السبعين وما فوقه .

١٠ ـ الحسن بن أحمد المالكي : الإمامة والتبصرة : ٥٢/١٩٨ ب١١ ، والأمالي : ٩/٢٥٠ م٥٠ ، وعيون الأخبار : ١ : ٦٣/٣٠٣ ب٢٨ ـ وفيه الحسين والصواب ما ذكرناه ـ وكمال الدين : ١ : ٦/٢٠٢ ب٢١ ، ومعاني الأخبار : ١/٢٦٣ .

١١ ـ الحسن بن علي بن الحسين الدِّيْنَوَرِيّ العلوي ، رجال النجاشي : ٤٦٤/١٧٦ في ترجمة زكار بن الحسن الدينوري ، وفهرست الشيخ : ٣٠٤/٧٥ في ترجمة زكار بن يحيى الواسطي ، وفيه (الحسن بن علي بن الحسن الدينوري العلوي) .

١٢ ـ الحسن بن علي القاقولي : ثواب الأعمال : ١١/٢٠٩ .

١٣ ـ الحسن بن محمّد بن عبدالله بن عيسى : عيون الأخبار ١ : ١/٢٠ ب٤ .

١٤ ـ الحسين بن سعيد الأهوازي : نقله السيّد الجلالي في مقدّمة تحقيق الإمامة والتبصرة : ٤٤ عن روضات الجنّات ٥ : ٣٥٤ ، وهو موضع تأمّل لبعد الطبقة .

١٥ ـ الحسين بن محمّد بن عامر : الأمالي ١/ ٣٨٧ م٧٣ ، وعلل الشرائع ١ : ١/٢٨٩ ، ومشيخة الفقيه ٤ : ١٦ ، ومعاني الأخبار : ١/٢٩٤ .

١٦ ـ الحسين بن موسى : الأمالي : ٦/٥٣٢ م٩٥ ، ويبعد كونه أباهُ ، وإلّا لقيّده

بلفظ (أبي) كما هو المتعارف من سيرة رواية الأبناء عن الآباء .

١٧ ـ حمزة بن القاسم : الإمامة والتبصرة : ٣٧/١٨١ ب٥ .

١٨ ـ سعد بن عبدالله الأشعري القمّي (من أهم مشايخه على الإطلاق) : الإمامة والتبصرة : ١/١٥٣ ب١ والأمالي : ٤/١٦ م٢ ، والتوحيد : ١/١٨ ب١ ، وثواب الأعمال : ١/١٥ ، والخصال ١ : ٢/٢ باب الواحد ، وصفات الشيعة : ٦/٨٣ ، وعلل الشرائع ١ : ١/٣ ، وعيون الأخبار ١ : ٤/١٧ ب٢ ، وفضائل الأشهر الثلاثة : ٧/٢٠ ، وفضائل الشيعة : ١٩/٦٣ ، وكمال الدين ١ : ١٨ في مقدّمة المصنّف ، ومشيخة الفقيه ٤ : ٦ ، ومصادقة الإخوان : ١/١٣٢ ، ومعاني الأخبار : ١/١ .

١٩ ـ عبدالله بن جعفر الحميري : الإمامة والتبصرة : ١٤/١٦٢ ب٢ ، والأمالي : ٢/٣٣ م٨ ، والتوحيد : ٦/٣٤٧ ب٥٦ ، وثواب الأعمال ١ : ٥/١١ ، وعيون الأخبار ١ : ٢/٤١ ب٥ ، وفضائل الأشهر الثلاثة : ٤٤/٦١ ، وكمال الدين ١ : ٧٢ ، ومشيخة الفقيه ٤ : ٦ ، ومعاني الأخبار : ١/١١٧ .

٢٠ ـ عبدالله بن الحسن المؤدب : الأمالي : ١/٢١ م٤ ، وثواب الأعمال : ١/٢٢ ، والخصال ١ : ٢٢٤/١٧٠ باب الثلاثة ، وعلل الشرائع ١ : ٢/٢٨٢ ، ومشيخة الفقيه ٤ : ٢٦ وفيه (الحسين) مكان (الحسن) والصواب ما ذكرناه ، ومعاني الأخبار : ١/١١٣ .

٢١ ـ علي بن إبراهيم بن هاشم القمّي : الإمامة والتبصرة : ٦٠/٢٠٩ ب١٥ ، والأمالي : ٣/٥٢ م١٢ ، والتوحيد : ٢/١٠٤ ب٧ ، وثواب الأعمال : ١/٣٠ ، والخصال ١ : ٩/٤ باب الواحد ، وصفات الشيعة : ٢/٨١ ، وعلل الشرائع ١ : ٣/٥٢ ، وعيون الأخبار ١ : ١/١٣ ب١ ، وفضائل الأشهر الثلاثة : ١١٨/١١٩ ، وكمال الدين ١ : ٢٦/١٧٠ ب١١ ، ومشيخة الفقيه ٤ : ٧ ، ومصادقة الإخوان : ٢/١٣٥ ، ومعاني الأخبار : ٢/١ .

٢٢ ـ علي بن الحسين بن سعدك الهمداني : فهرست الشيخ : ٢٩٣/٧٢ في ترجمة زياد بن المنذر .

٢٣ ـ علي بن الحسين بن علي الكوفي : التوحيد : ١٢/٢١ ب١ ، وثواب الأعمال : ١/٢١١ ، ومشيخة الفقيه ٤ : ٤٠ .

٢٤ ـ علي بن الحسين السعد آبادي : الأمالي : ٤/٢٦٢ م٥٢ ، وثواب الأعمال : ٣/٦٩ ، والخصال ١ : ٥٩/١٦ باب الواحد ، وصفات الشيعة : ٢٢/٩٠ ، وعلل الشرائع ١ : ١/٤٤ ، ومشيخة الفقيه ٤ : ٢٧ .

٢٥ ـ علي بن سليمان الزراري : علل الشرائع ٢ : ٢/٣٤٥ ، ومشيخة الفقيه ٤ : ٥٨ وصُحِّف فيه (الزراري) إلى (الرازي) .

٢٦ ـ علي بن محمّد بن قتيبة : الأمالي : ٢/٩٠ م٢٢ ، والتوحيد : ٢٢/٧٦ ب٢ ، وكمال الدين ١ : ٦٢/٢٤٠ ب٢٢ .

٢٧ ـ علي بن موسى الكميذاني : الأمالي : ٢/٥٩ م١٥ ، والخصال : ١ : ١٨/٦ باب الواحد ، وعلل الشرائع ١ : ١/٢٨٣ ، وعيون الأخبار ١ : ١٤/٢٥٨ ب٢٦ ، وفضائل الأشهر الثلاثة : ٥٩/٧٦ ، ومشيخة الفقيه ٤ : ٣١ ، ومعاني الأخبار : ١/١٣٧ .

٢٨ ـ الفتح بن محمّد بن علي بن إبراهيم النهاوندي : نقله الربّاني في مقدّمة تحقيق معاني الأخبار : ٢٦/٨١ عن عيون الأخبار : ١٦٠ ولم أجده في العيون ، والموضع المشار إليه فيه (القاسم) الآتي برقم (٣٠) ويحتمل أن يكون نفسه القاسم ، أو أخاه .

٢٩ ـ فرات بن إبراهيم الكوفي : نقله السيّد الجلالي في مقدّمة تحقيق الإمامة والتبصرة من الحيرة : ٤٤ ، عن ريحانة الأدب ٥ : ١٠٤ .

٣٠ ـ القاسم بن محمّد بن علي بن إبراهيم النهاوندي : علل الشرائع ٢ : ٤/٥٧٨ ، وعيون الأخبار ١ : ٢٧/٢٨٩ ب٢٨ ، وهو الموضع الذي ذكر فيه اسم (الفتح) مكان (القاسم) في نسخة الربّاني كما مرّ برقم (٢٨) .

٣١ ـ محمّد بن أبي عبدالله (الظاهر أنّه البرقي) : علل الشرائع ١ : ٣/٣٠ .

٣٢ـ محمّد بن أبي القاسم ماجيلويه: الأمالي: ١/١٦ م٦، ثواب الأعمال: ١/١٣١، وعلل الشرائع ١: ١/١٩١، وفضائل الأشهر الثلاثة: ٢٠/٤٣، وكمال الدين ١: ٢/٢٨٩ ب٢٦، ومعاني الأخبار: ١/١٤٤.

٣٣ـ محمّد بن أحمد بن خالد (ولم أعرفه): ثواب الأعمال: ١/٢٢٠.

٣٤ـ محمّد بن أحمد بن علي بن أسد أبو الحسن الأسدي: الخصال ١: ٩٩/٢٨ باب الواحد.

٣٥ـ محمّد بن أحمد بن علي بن الصلت: الأمالي: ٧/٦٩ م١٧، وثواب الأعمال: ٢/١٦ وفيه صحف لفظ (بن) بين أحمد وعلي إلى (عن) سهواً والصحيح ما ذكرناه، الخصال ١: ٤/٣ باب الواحد، صفات الشيعة: ٣/٨٥، ومشيخة الفقيه ٤: ١١٢، ومصادقة الإخوان: ١/١٨١، ومعاني الأخبار: ٣/٢٩٧.

٣٦ـ محمّد بن أحمد بن هشام: ثواب الأعمال: ٣/٤٧، ورجال الشيخ: ٤/٤٩٢، باب من لم يرو عن الأئمّة عليهم السلام.

٣٧ـ محمّد بن أحمد بن يحيى، عدّه في جامع المقال: ١١٧ من مشايخ علي بن بابويه، وهو بعيد.

٣٨ـ محمّد بن إدريس: معاني الأخبار: ١/١٨٢، والظاهر أنّه محرّف أحمد بن إدريس.

٣٩ـ محمّد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري: علل الشرائع ٢: ٦/٣٦٣.

٤٠ـ محمّد بن الحسن الصفّار: ثواب الأعمال: ١/١٢٨، وكمال الدين ٢: ٤٠/٣٤٨ ب٣٣.

٤١ـ محمّد بن علي بن أبي عمران الهمداني: نقله الربّاني في مقدّمة تحقيق معاني الأخبار: ٣٤/٨١ عن عقاب الأعمال: ٢١.

٤٢ ـ محمّد بن علي الشلمغاني : فهرست الشيخ : ٦١٦/١٤٦ في ترجمة الشلمغاني نفسه .

٤٣ ـ محمّد بن علي بن الصّلت : الخصال ١ : ٢٠٦/١٥٩ باب الثلاثة ، ولعلّه المتقدّم برقم (٣٦) ، أو يكون هذا عمّه .

٤٤ ـ محمّد بن معقل القرميسيني : الأمالي : ٤/٩٣ م٢٢ ، والخصال ١ : ٦٨/٥٣ باب الاثنين ، وعلل الشرائع ، وعيون الأخبار ١ : ٦/٢٢٨ ب٢٢ .

٤٥ ـ محمّد بن موسى : الإمامة والتبصرة : ٧٤/٢٢٢ ب١٩ .

٤٦ ـ محمّد بن يحيى العطّار : الإمامة والتبصرة : ٢/١٥٧ ب٢ ، والأمالي : ١/٤٤ م١ ، والتوحيد : ١/٨٢ ب٣ ، وثواب الأعمال : ١/٣٥ ، والخصال ١ : ٣/٣ باب الواحد ، وعلل الشرائع ١ : ٢/١٨ ، وعيون الأخبار ١ : ٩/٢٣ ب٤ ، وفضائل الأشهر الثلاثة : ٥١/٧١ ، وكمال الدين ١ : ٦٩ ، ومشيخة الفقيه ٤ : ٥ ، ومصادقة الإخوان : ١/١٣١ ، ومعاني الأخبار : ١/٥ .

٤٧ ـ محسن بن أحمد : كما في الاستبصار ١ : ١٨٨٤/٤٨٦ قال : « فأمّا ما رواه علي بن الحسين بن بابويه ، عن محسن بن أحمد ، عن ابان بن تغلب بن عثمان ... إلخ » ، وهو بعيد ، والظاهر أنّه عليّ بن الحسن كما في معجم رجال الحديث ١٤ : ١٩٤ .

٤٨ ـ أبو خلف العجلي : رجال الشيخ : ١/٤٣٨ من لم يرو عن الأئمّة عليهم السلام ، باب الكنى .

هذا ، وقد وجدت في بعض الأسانيد ، روايته عن علي بن الحكم ، وفي بعض روايته عن إبراهيم بن هاشم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، ولم اعتنِ بموردیهما لظهور السقط في سند الأُولى أو الإرسال ، مع اشتباه الناسخ في الثانية والصحيح علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير ، بقرينة سائر الروايات .

٤ ـ تلاميذه والرواة عنه : ومن علائم شخصيّته العلمية ، أنّه تخرّج على يديه ، وروى عنه مجموعة من أعلام الشيعة ذكر الشيخ الربّاني عشرة منهم[٣٣] ، وأوصلهم

السيّد الجلالي إلى أربعة عشر شخصاً[٣٤].

وسنقتصر على ذكر أشهرهم، مع مناقشة عدّ الكليني رحمه الله تعالى منهم، وهم:

١ ـ ولده الشيخ الصدوق (ت/٣٨١هـ) ﷺ، الذي طبقت شهرته الآفاق وأطراه المؤالف والمخالف، وأُعجب من حفظه وفقهه حتى مشايخه، نسأل الله تعالى أن يوفّقنا لأن نعطيه في سلسلة (من فقهائنا) بعض حقّه.

٢ ـ الفقيه أحمد بن علي بن داود القمّي.

٣ ـ الفقيه المشهور جعفر بن محمّد بن قولويه رضي الله تعالى عنه، صاحب كتاب كامل الزيارات.

٤ ـ الفقيه محمّد بن علي بن عبدك الجرجاني.

٥ ـ قطب الإجازات العلمية في رواية الحديث الشيخ هارون بن موسى التلعكبري ـ رحمه الله تعالى ـ قال عنه شيخ الطائفة «جليل القدر، عظيم المنزلة، واسع الرواية، عديم النظير، روى جميع الأُصول والمصنّفات، مات سنة خمس وثمانين وثلثمائة»[٣٥].

مناقشة رواية ثقة الإسلام عن الصدوق الأوّل:

صرّح في روضات الجنّات ـ بعد أن ذكر بعض مشايخ الصدوق الأوّل ـ برواية ثقة الإسلام الكليني عنه في مورد واحد فقط، فقال: «ولكن لا رواية له عن الكليني، ولا له رواية عنه إلّا في حديث واحد من أبواب أُصول الكافي»[٣٦] وقال السيّد البروجردي في تجريد أسانيد الكافي في المقدّمة الرابعة في بيان من روى عنه المصنّف (أي: الكليني) ما نصّه:

«الأوّل: ابن بابويه، روى عنه في الكتاب [أي: الكافي] حديثاً واحداً، والظاهر

أنّ المراد به علي بن الحسين بن موسى بن بابويه أبو الحسن القمّي (ت/٣٢٩هـ) »[٣٧] .

أقول : إنّ لفظة « ابن بابويه » وردت في أُصول الكافي فعلاً في كتاب الحجّة باب مولد الإمام علي بن الحسين عليه السلام ، ولكن لا يُعلم إلى الآن هل هي من خطّ صاحب الكافي ؟ أو أُلحقت فيما بعد ـ لغاية ـ من قِبل النسّاخ ؟ هذا أوّلاً ، وثانياً : هل هي « ابن بابويه » ؟ أم مصحّفة عن « ابن بانويه » وبانويه لقب لسلامة أم الإمام زين العابدين عليه السلام كما هو صريح أحاديث الباب من الكافي ، وثالثاً : هل أنّ لفظة « ابن بابويه » متّصلة بمتن الحديث الثالث من أحاديث الباب ؟ أو أنّها بداية لإسناد الحديث الرابع ؟

وللإجابة على هذه الأسئلة ذهب علماؤنا مذاهب شتّى ، ولعلّ أجودها ما سنذكره ونشيّد صرحه بعد ذكر الحديثين الثالث والرابع من الباب المذكور لكي يتحدّد موقع لفظة (ابن بابويه) بالضبط ، وهما كما في نسخ الكافي :

« ٣ ـ علي بن إبراهيم بن هاشم ، عن أبيه ، عن محمّد بن عيسى ، عن حفص بن البختري ، عمّن ذكره عن أبي جعفر عليه السلام قال : لمّا مات أبي علي بن الحسين عليه السلام جاءت ناقة له من الرعي حتى ضربت بجرانها على القبر ، وتمرّغت عليه ، فأمرتُ بها فَرُدّت إلى مرعاها ، وأنّ أبي عليه السلام كان يحجّ عليها ويعتمر ولم يقرعها قرعة قطّ .

ابن بابويه .

٤ ـ الحسين بن محمّد بن عامر ، عن أحمد بن إسحاق بن سعد ، عن سعدان بن مسلم . . . »[٣٨] .

وقد وردت لفظة « ابن بابويه » في الوافي ومرآة العقول بعد جملة : « ولم يقرعها قرعة قطّ » مباشرة ، وليست في بداية سطر جديد ، مع الفصل بينهما بنقطة[٣٩] .

ولمّا كان وقوع مثل هذه اللفظة في نهاية حديث غير معهود في الكافي لذا اختلفوا في توجيهها ، ولعلّ أفضل ما قيل ما حاصله :

إنّ هذه اللفظة وردت للتنبيه من قِبل النسّاخ الأوائل على أنّ الحديث الرابع إنّما

هو في نسخة الشيخ الصدوق محمّد بن علي من الكافي دون سائر النسخ نظير ما وقع في بعض المواضع من الكافي: (في نسخة الصفواني) و(وفي رواية النعماني : كذا)[٤٠].

أقول : ويؤيّد هذا الوجه عشرة وجوه وهي :

١ ـ إنّ (ابن بابويه) ينصرف إلى الابن في الغالب وقد يطلق نادراً على الأب .

٢ ـ ورود اللفظ في آخر الحديث الثالث ، لا في سند الحديث الرابع ، كما في المطبوع من الكافي وسائر نسخه الأُخرى التي رآها المحقّق الداماد[٤١] .

٣ ـ سند الحديث الرابع ابتدأ بشيخ الكليني الحسين بن محمّد بن عامر .

٤ ـ الكليني لم يرو في الكافي أُصولاً وفروعاً وروضة بالواسطة عن شيخهِ الحسين بن محمّد بن عامر ، علماً أنّ رواياته عنه في فروع الكافي فقط بلغت أربعمائة وعشرة موارد[٤٢] .

٥ ـ ليس المعهود من طريقة الكليني الرواية عن أي من مشايخه بالواسطة .

٦ ـ المشهور بين العلماء أنّ الكليني لم يرو عن علي بن بابويه ، ولا علي بن بابويه عنه لعدم اتّفاق اللقاء بينهما .

٧ ـ لا يعلم أنّ أحداً ـ منذ زمن الكليني إلى اليوم ـ قد نقل حديث الكافي بصورة : « محمّد بن يعقوب ، عن ابن بابويه ، عن الحسين بن محمّد بن عامر » كما هو دأب الكثيرين منهم .

٨ ـ لا يبعد أن تكون للصدوق نسخة من الكافي تختلف عن نسخة الصفواني والنعماني بما يرتبط بهذا الحديث ، خصوصاً وأنّه صرّح في أوّل الفقيه باعتماده على كتب مشهورة عليها المعوّل وإليها المرجع ، وقد كان الكافي من جملتها كما يبدو من ذكر طريقه إلى ثقة الإسلام ، وأمّا عن أُصول الكافي فقد اختصره الشيخ الصدوق بيده ، وتوجد من مختصره نسخة خطيّة في مكتبة أمير المؤمنين العامّة في النجف

الأشرف بعنوان منتخب أُصول الكافي وبرقم (٦/١٦٣٥ ج١) كما في فهرست مخطوطاتها الخطّي الموجود في المكتبة نفسها[٤٣] .

٩ ـ شرع الكليني ﷺ بتصنيف الأُصول قبل الفروع والروضة من الكافي كما هو صريح ديباجة الكافي التي أشار فيها إلى ضرورة الابتداء بكتاب العلم .

وهذا يعني أنّ الأُصول قد تمّ تأليفه بوقت مبكّر من عمر العشرين سنة التي أمضاها الكليني في تصنيف الكافي ، فإن قدّر هناك ثمّة لقاء بينهما ، فليكن في بغداد ، وإن قلنا بأنّ الكافي لم يتمّ تأليفاً عند أوّل لقاء بينهما في بغداد ، فلا أقلّ من إتمام تأليف الأُصول منه وقتئذٍ ، خصوصاً وأنّه شرع في التأليف حدود سنة (٢٩٠هـ) لروايته فيه عن الصفّار المتوفّى فيها .

١٠ ـ لو كان سند الحديث الرابع مبتدأً بـ (ابن بابويه) للزم أن يكون بعده لفظ (عن) ، كما هو المشهور من طريقة الكليني في سَوْق الإسناد ، والحال ليس كذلك .

ويمكن أن يضاف إلى هذه الوجوه وجهاً آخر ، وهو أنّ الشيخ الكليني إنّما يروي الحديث الواحد أو الحديثين عمّن لم تكن له شهرة في كتب الرجال ، بل يروي المئات عن المشهورين كما لاحظناه في مشايخه ، وهذا الوجه الأخير وإن كان لا يقاس عليه إلّا أنّ طريقة الكليني ﷺ ـ ظاهراً ـ هي هذه ، فلو قدّر اللقاء بينهما لأكثر ثقة الإسلام من الرواية عنه على فرض تقدّم سنّه لأنّه من الأجلّاء ، وإلّا فلا يخلو الأمر من أحد احتمالين :

أمّا عدم اللقاء كما هو المشهور بين العلماء ، وفي النفس منه شيء لأنّ الكليني حدّث عن المشايخ القمّيين مع قرب كلين من قم ، وهذا يحتمل اللقاء بينهما ، وإلّا فاستبعاده عنهما ببغداد مستبعد .

وأمّا أنّه كان ينظر إليه أنّه من القرناء ، ومن يطلب السند العالي ـ كثقة الإسلام ـ لا يروي عن القرين .

مؤلّفاته :

للصدوق الأوّل ﷺ مؤلّفات عدّة ، أكثرها في الفقه كما يتّضح من فهرستها عند النجاشي والطوسي وابن شهرآشوب ﷺ [٤٤] ، وهي :

١ ـ كتاب التوحيد ، لم يذكره ابن شهرآشوب في معالم العلماء .

٢ ـ كتاب الوضوء .

٣ ـ كتاب الصلاة .

٤ ـ كتاب الجنائز .

٥ ـ كتاب الإمامة والتبصرة من الحيرة ، ذكره الشيخ في الفهرست بعنوان : كتاب الإمامة والبصيرة من الحيرة .

٦ ـ كتاب الإملاء (نوادر) ، جُعِل النوادر مستقلّاً عن الإملاء في الفهرست والمعالم .

٧ ـ كتاب المنطق ، وفي الفهرست والمعالم (النطق) ،

٨ ـ كتاب الإخوان ، وفي الفهرست : كتاب الإخوان والإلف ، وهذا الكتاب عند بعض المحقّقين هو كتاب مصادقة الإخوان ، المشهور النسبة إلى الشيخ الصدوق أبي جعفر .

٩ ـ كتاب النساء والولدان .

١٠ ـ كتاب الشرائع ، وهو الرسالة إلى ابنه عند النجاشي ، وفي الفهرست والمعالم جعلت الرسالة غير الشرائع .

١١ ـ كتاب التفسير .

١٢ ـ كتاب النكاح .

١٣ ـ كتاب مناسك الحجّ .

١٤ ـ كتاب قرب الإسناد .

١٥ ـ كتاب التسليم ، وفي الفهرست : كتاب التسليم والتمييز ، وجعله في المعالم كتابين : التسليم ، التمييز .

١٦ ـ كتاب الطبّ .

١٧ ـ كتاب المواريث .

١٨ ـ كتاب المعراج ، لم يذكر في الفهرست والمعالم .

كما نسب له كتاب الحجّ ، مع عبارة : (لم يتمّه) في الفهرست والمعالم ، ولم يذكره النجاشي ، وقد اتّضح أنّ النجاشي لم يذكر له إلّا ثمانية عشر كتاباً ، بينما ذكر له الشيخ عشرين كتاباً ، وكذلك ابن شهرآشوب .

والذي يؤسف على كتبه ضياع معظمها ؛ إذ لم يبق منها إلّا النزر اليسير[٤٥] ، وما وصل منها إلى قريب من زماننا هو اليوم في عِداد الكتب المفقودة من تراثنا !

ولمّا لم يكن بأيدينا شيء من كتبه الفقهية غير المنقول عنها في كتب الفقهاء ، لا سيّما كتب ولده الشيخ الصدوق الذي أكثر في النقل من رسالة والده ـ الفقهية ـ إليه ؛ لذا سيكون الحديث عن تلك الرسالة ـ وأهمّيتها والمنهج الفقهي فيها وما يتّصل بها من أُمور أُخرى ، وعلى نحو الاختصار .

« للبحث صلة »

تنبيه :

نلفت نظر القارئ الكريم إلى أنّه قد سقطت ـ وللأسف ـ من الأسطر الأخيرة من مقالة (ثقة الإسلام الكليني) في العدد الأول بعد جملة: «... ووارت جثمانه الثرى» العبارة التالية: «وذلك في مقبرة باب الكوفة في المنطقة المعروفة يومذاك بـ(صُراة الطائي)».

الهوامش :

(١) ورد في الأثر عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام أنّه قال لرجل قد اعترض عليه في مسألة فقهية : « يا هذا ، لو صرت إلى منازلنا ، لأريناك آثار جبرئيل في رحالنا ، أيكون أحد أعلم بالسنّة منّا ؟ » **نزهة الناظر وتنبيه الخاطر** للحلواني ص٤٥ ، نقلاً عن **جهاد الإمام السجّاد زين العابدين عليه السلام** للسيد الجلالي : ١٣٠ .

(٢) عن رقية بن مصقلة قال : دخلت على أبي جعفر عليه السلام فسألته عن أشياء ـ إلى أن قال : ـ فقلت له : ما تقول في المسح على الخفّين ؟ فقال : « كان عمر يراه ثلاثاً للمسافر ، ويوماً وليلة للمقيم ، وكان أبي [أي الإمام علي عليه السلام] لا يراه في سفر ولا حضر » ، فلمّا خرجت من عنده فقمت على عتبة الباب فقال لي : أقبل ، فأقبلت عليه ، فقال : « إنّ القوم كانوا يقولون برأيهم فيخطئون ويصيبون ، وكان أبي لا يقول برأيه » . **تهذيب الأحكام** ١ : ١٠٨٩/٣٦١ ، و**الوسائل** ١ : ١٢١٦/٤٥٩ ، باب٣٨ من أبواب الوضوء .

(٣) **تاريخ الأدب العربي**/ أحمد حسن الزيّات : ٢١٠ . و**تاريخ آداب اللغة العربية**/ جرجي زيدان : ١ : ٤٦٠ .

(٤) ذكر معظم هؤلاء الفقهاء ابن النديم في الفهرست ، وقد ذكر لبعضهم ترجمة يسيرة ، فراجع .

(٥) صلة تاريخ الطبري/القرطبي : ٩٥-٩٦ .

(٦) خاتمة وسائل الشيعة ٣٠ : ١٦٥-آخر الفائدة الرابعة .

(٧) ذكر في معجم البلدان في أثناء حديثه عن مدينة قم حكاية طريفة جرت بين والي قم وهو من أهل السنّة ، وبين وجهاء القمّيين ، ولا يبعد أن تكون موضوعة للتشهير بها على الشيعة إلّا أنّها تدلّ على كون قم من حصون التشيّع المنيعة . انظر معجم البلدان ٤ : ٣٩٤-٣٩٧ .

(٨) انظر مقدّمة تحقيق اللمعة للسيّد محمّد كلانتر ١ : ٤٤-٤٥ .

(٩) كتاب الغيبة/الشيخ الطوسي : ٣٥٧/٣٩٠ .

(١٠) انظر كتاب الغيبة/الشيخ الطوسي : ٣٧٣-٣٤٥/٣٧٨ .

(١١) اللوامع شرح من لا يحضره الفقيه (فارسي) : ١٤٩ ، نقلاً عن مقدّمة تحقيق كتاب من لا يحضره الفقيه بقلم السيّد حسن الخرسان ، ص (د) ، وقد استغرب السيّد الجلالي هذا العدد فاحتمل تصحيف (بيست هزار) إلى (دويست هزار) أي تصحيف (عشرين ألفاً) إلى (مائتي ألف) لتشابه الرسم بينهما في الكتابة الفارسية . راجع مقدّمة تحقيق كتاب الإمامة والتبصرة من الحيرة بقلم السيّد المحقّق محمّد رضا الجلالي : ٣٦ .

(١٢) انظر روضة المتّقين ١٤ : ٤٩٣ باب الكنى ، وسفينة البحار ١ : ٤١٠ .

(١٣) لسان الميزان ٢ : ١ في ترجمة بابويه بن سعد ، كذا نقله العلّامة المحقّق السيّد محمّد رضا الجلالي في مقدّمة تحقيق الإمامة والتبصرة من الحيرة : ٢٠ .

(١٤) استعنا بتفصيل أسماء الأُسرة بالجدول المعدّ لهذا الغرض في مقدّمة تحقيق مصادقة الإخوان .

(١٥) روضة المتّقين: ١٤ /١٦ .

(١٦) انظر الدراية/الشهيد الثاني : ١٢٥ ، و مقباس الهداية : ١ : ٣٠٧-٣٠٨ .

(١٧) راجع أرقام التراجم التالية في فهرست منتجب الدين : ٣ ، ٤ ، ٥٥ ، ٧٢ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ١٧٨ ، ١٩٥ ، ٢٢٨ ، ٣٠٢ ، ٥٢٨ .

(١٨) لمعرفة المزيد من أبعاد شخصية الصدوق الأوّل ومؤهّلاته راجع مقدّمة تحقيق كتاب

الإمامة والتبصرة من الحيرة للعلّامة المحقّق السيّد محمّد رضا الجلالي فقد أبدع يراعه في استيفاء هذا الجانب، وسائر الجوانب الأُخرى المتّصلة بحياة شيخنا علي بن بابويه ﷺ، وقد استفدت منها كثيراً في هذا البحث.

(١٩) رياض العلماء ٤ : ٦.

(٢٠) كتاب الغيبة/الشيخ الطوسي : ٣٧٧/٤٠٢.

(٢١) رجال النجاشي : ٦٨٤/٢٦١.

(٢٢) كتاب الغيبة/الشيخ الطوسي : ٢٦٦/٣٣٠.

(٢٣) كتاب الغيبة/الشيخ الطوسي : ٣٣٤/٣٦٦.

(٢٤) تنقيح المقال ٢ / ٢٨٣.

(٢٥) فهرست الشيخ : ٩٣، هامش الترجمة رقم ٣٨٢ الخاصّة بعلي بن بابويه.

(٢٦) راجع رجال الشيخ : ٣٣/٤٨٢ و ٣٤، باب من لم يرو عن الأئمّة عليهم السلام.

(٢٧) قاموس الرجال : ٧ / ٤٣٦.

(٢٨) رجال النجاشي : ٦٨٤/٢٦٢.

(٢٩) رجال الشيخ : ٣٤/٤٨٢، باب من لم يرو عن الأئمّة عليهم السلام.

(٣٠) رجال النجاشي : ٦٨٤/٢٦٢.

(٣١) في رواية الصدوق ـ كما سيأتي في بحث وفاة الشيخ علي بن بابويه ـ أنّ السمري مات سنة ٣٢٨هـ، وإن كان النقل عن الصدوق مقدّماً لقرب العصر إلّا أنّ المشهور هو ما ذكرناه.

(٣٢) كتاب الغيبة : ٣٢٨/٣٦٣.

(٣٣) مقدّمة تحقيق معاني الأخبار : ٨١ـ٨٢.

(٣٤) مقدّمة تحقيق الإمامة والتبصرة : ٤٦ـ٥٢.

(٣٥) رجال الشيخ : ١/١٥٦ في من لم يرو عن الأئمّة عليهم السلام.

(٣٦) روضات الجنّات : ٤ / ٢٧٨.

(٣٧) تجريد أسانيد الكافي: ١ / ٣٢.

(٣٨) أُصول الكافي : ١ / ٤٦٧ـ٣/٤٦٨ و ٤، باب ١١٧ من كتاب الحجّة.

(٣٩) انظر : الوافي : ٢ / ٧٦٤، ح١٣٨٧ من المجلّد الثالث، و مرآة العقول : ٦ / ٩ ح٣.

(٤٠) المصدران السابقان بنفس الجزء والصفحة .

(٤١) الوافي : ٢ / ٧٦٤ ، ح ١٣٨٧ من المجلّد الثالث .

(٤٢) الشيخ الكليني البغدادي وكتابه الكافي (الفروع) : ٣٦٤ ـ ٣٦٨ .

(٤٣) أقول : إنّما ذكرنا هذا التحديد لكي لا يتقوّل أحد فيزعم بأنّ كلامنا هذا رجم في الغيب ، فقد قرأت ذلك في الفهرست المذكور سنة ١٩٨٧م وطلبت بوقتها من الحاج يوسف رحمه الله وكانَ أميناً على المكتبة أن يريني هذا الكنز الثمين فاعتذر لأسباب تخصّ المكتبة نفسها ازاء المخطوطات، وباعتقادي أنّها كانت أسباب أمنيّة قاهرة، إذ لم يمتنع هذا الشيخ رحمه الله من توفير كل ما احتجته من المكتبة حين ذاك.

(٤٤) رجال النجاشي : ٦٨٤/٢٦١ ، وفهرست الشيخ ٣٨١/٩٣ ، ومعالم العلماء ٤٣٩/٦٥ .

(٤٥) راجع ما كتبه السيّد الجلالي في تحقيقه كتاب الإمامة والتبصرة تحت عنوان : (الموجود من كتبه) : ٨١ ـ ٩٠ .

دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ

وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ

وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ